النظرية الليبرالية بين (الكلاسيكية والمعاصره)

اسم الباحثة

مهنده محمود حامد الغول

قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة حلوان

mahenda_elghoul@hotmail.com

مستخلص

تدفعنا ليبرالية القرن الحادى والعشرين المتأثرة بالعولمة إلى التفكير فى العودة إلى تراث الفكر الليبرالى الذي نشأ فى أوربا على هيئة نظريات سياسية، من أجل تطويع النظرية الليبرالية لخدمة المنظومة الاقتصـادية الفردية المتحررة من قيود الدولة وتدخلاتها التى تعيق حركة التجارة الخاصـة، ويعتمد التوسـع الرأسـمالي العالمي للرأسـمالية على نظريات وأفكار تعمل على إحياء النظرية الليبرالية الكلاسـيكية، فلابد من العودة إذًا للتراث الليبرالي الكلاسـيكي لمعرفة الأفكار والنظريات التى تعتمد عليها الرأسمالية المعاصرة.

ويتنـاول البحـث التعرف على النظريـة الليبراليـة، وأهم دعـاتهـا من الفلاسـفـة و تتبع التحوُّلات التى طرأت على النظريـة الليبراليـة فى عـالمنـا المعاصر، والتعرف على أوجة التشابه والاختلاف بين أنواع الليبرالية، من خلال

دعاتها من الفلاسفة، ومدى تحقق المبادئ التي جاءت من أجلها الليبرالية التي على رأسها الحرية الفردية فى ظل النظم الرأسمالية المعاصره .

الكلمات المفتاحية : الليبرالية الكلاسيكية – النفعية – النيوليبرالية– الحرية – الليبرالية الإجتماعية

Abstract:

The liberalism of the twenty-first century affected by **globalization** prompts us to think about returning to the legacy of liberal thought that originated in **Europe** in the form of political theories in order to adapt liberal theory to serve the individual economic system that is free from the restrictions and interventions of the state that impede the movement of private trade, and the global capitalist expansion of capitalism depends on theories And ideas that work to revive the classical **liberal theory**, so we must return to the **classical liberal** heritage to know the ideas and theories on which **contemporary capitalism** relies. Between the types of liberalism through its advocates of philosophers, and the extent to which the principles for which liberalism came to be achieved, on top of which is individual freedom under contemporary capitalist systems.

Key words: Classical liberalism – Utilitarianism - Neo-liberalism

مقدمة

مهَّد الفكر الليبرالى لتغير نظرة الإنسـان لنفسـه على مدى الفترة الممتدة من القرن الخامس عشر، والقرن الثامن عشر. ففى تلك الفترة استطاع الإنسان أن يحرِّر عقله من كل الثوابت التى رسَّـختها النظم السـلطوية فى عقول الأفراد التي تحدّه من الاسـتمتاع بحريته الإنسـانية؛ حيث إنه كان مفتقدًا للشـجاعة والقـدرة على اتخـاذ القرار، وحريـة التعبير والرأى والتملُّـك فى المجتمعـات السـلطوية. ومن هنا فإننا بحاجة إلى إعادة قراءة التراث الليبرالى والتعرف على مؤسسيه من الفلاسفة والمفكرين اللذين أسسوا النظرية الليبرالية.

المبحث الأول

النظرية الليبرالية المفهوم والنشأة

تُعنى الليبرالية بالحرية والمسـاواة، وإن كانت الليبرالية الكلاسـيكية قد ركزت على الحرية، إلا أنَّ الليبرالية الاجتماعية قد اهتمت بالمسـاواة فى محاولة لتقليل الفروق الاجتماعية الناشـئة عن الحرية المطلقة لليبرالية الكلاسـيكية .فقد جاء الفكر الليبرالي حينما أصـبح للفرد حقوق، وتحرر من قيود السـلطة الدينية فى العصور الوسطى أو ترسيخ الفلاسفة للفكر العلماني، والإيمان بحرية الأفراد وتحررهم من القيود السياسية والاقتصادية .

أولًا :مفهوم الليبراليةLiberalism

الاشـتقاق اللغوى: الليبرالية فى الألمانية Liberalimus والإنجليزية Liberalism، وبالفرنسـية Libéralisme ، والإيطالية Liberaliso.ترى أن

اللفظ الأجنبي Liberalism يرجع من حيث الاشـتقاق اللغوى إلى لفظ ليبرال Libéral (الحر) المشتق من لفظ ليبرتى Liberté(الحرية)[1].

أما المفهوم الاصـطلاحي: فقد جاء فى "الموسـوعة الميسـرة" مفهوم الليبرالية بأنها"**هى التحرُّرية أو المذهب الفردى، وهى إطارٌ سـياسـيٌ يصـنف الحيـاة السـيـاسـيـة، ونظـام الحكم فى الـدول ذات الاقتصـاد الصـناعيIndustrial Economics والتي تأخذ بالمبادئ الرأسـمالية، وتسـود فيها الحرية كقيمة عليا، وتؤكد الحرية الفردية، وتقوم على المنافسـة الحرة من أجل تحقيق الصالح العام عن طريق الصالح الخاص الفردى.**"[2]

فقد وجهت الليبرالية جهودها لتحقيق أهدافها النفعية من خلال محورين مهمين، هما: السـياسـة والاقتصـاد. وعلى هذا الأسـاس فقد قدمت(الليبرالية تعريفات للفرد والحرية والعدالة، والحقيقة أنها لم تكن سـوى انعكاسًـا لاقتصـاد السوق الرأسمالي، فالفرد هو الشخص الذى يتمتع بحرية إقامة علاقات مع غيره من أفراد المجتمع، ويدخل معهم فى تعاقدات، والحرية هى حرية الفرد فى أن يبيع عمله ونتاجه، وحرية البائع والمشـتري فى الدخول فى تعاقدات يضـعون شروطها بأنفسهم، مع عدم تدخل الدولة فى هذه العمليات، وترك آليات السوق تعمل بحرية أما المساواة والعدالة فتتحققان عن طريق توازن المصالح والمنافسة الحرة فى السـوق . وقد ذهب **ماركس** إلى أن جميع الحقوق الليبرالية تُختزل فى

---

1 متى ولماذا ظهرت فكرة الحرية وكيف استغلتها الليبرالية ؟2018/2/7
www.azamil.com

2 عبد الكافى إسماعيل ،الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربى – إنجليزى)، موسوعة إلكترونية 2005، ص 361، 362 www.kotobararabia.com

حق الملكية. فالحرية هى حرية التملك، والمساواة هى تساوي الأفراد فى سعيهم نحو التملك، والأمن هو المناخ الذى يضمن للفرد حمايته لملكيته ، والحصول على المزيد منها).[3]

ب – نشأة الليبرالية :

انتشر مصطلح الليبرالية فى إنجلترا على يد (ديفيد هيوم)" David Hume(1711–1776م)، وآدم سميث Adam Smith1723– 1790م) ، و(أدموند بورك Edmund Burke (1729–1797م)، ولورد أكتون Lord Acton 1834–1902م)، وقد كان مفهوم الحرية الفردية التى يحددها القانون هو الذى أثر على الحركات الليبرالية فى القارة الأوروبية، كما كان للتيار الليبرالى الحديث دعاته فى الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية.

وبدأ اصطلاح الليبرالية فى الانتشار مع تكوين حزب سياسى فى **إسبانيا** سمي "بالحزب الليبرالى"، وقد اعتنق أعضاؤه المبادئ الدستورية البريطانية السائدة فى أوائل القرن التاسع عشر، وسعوا إلى تطبيقها عام 1810م فى الحياة السياسية الإسبانية، وسرعان ما شاع استخدام هذا المصطلح فى أوروبا، وقصد به فى ذلك الوقت أنصار المذهب البرلمانى ، ودعاة حرية الفكر، وحرية التجارة ، وحرية الملكية الخاصة، وقد أطلق وصف الدولة الليبرالية على التنظيم السياسي القائم على مبادئ الليبرالية، وقامت فلسفته على الإيمان بإمكانية تحقيق الرخاء العالمى نتيجة إطلاق القوى الطبيعية، وتحريرها

---

3 منصور، أشرف، الليبرالية الجديدة، جذورها الفكرية وأبعادها الاقتصادية،(القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، 2008م)، ص 12.

من القيود والتنظيم تعبيرًا عن الثقة فى قدرة الفرد على تحقيق سعادته الخاصة، وسعادة مجتمعه فى آن واحد .[4]

ترجع نشـــأة الليبراليـة إلى جون لوك ''John Locke''(1632-1702م) فى القرن الســابع عشــر؛ بينما يرى بعض المؤرخين أنها تعود إلى اليونانيين القدماء، فيتحدثون عن ليبرالية" قديمة" كما الحالُ عند "بروتاجوراس" و"ديمقريطس" وغيرهما. وقد جاء الفكر الليبرالى معارضًـــا للحق الإلهي للملوك وهو ما أشـــار إليه **لوك؛** حيث رفض ادِّعاء وجود الملك فى الحكم بمقتضـــى تفويض إلهي .[5]

وقد رفض دعاة الليبرالية المفاهيم التقليدية والأعراف الخاصـــة بإعطاء الملوك حق الملكية المطلقة والتميز الإلهي لهم، ونادَوا بحقوق الإنسـان الطبيعة المتمثلة فى حق الفرد فى الحياة والحرية والملكية وغيرها من الحقوق.إلا أنه (انتشـرت الليبرالية بسـرعة كبيرة بعد الإطاحة بالحكم الفرنسـي؛ حيث شـهد القرن التاســـع عشـــر تأســـيس الكثير من الحكومات الليبرالية فى العديد من الدول الأوربية، وأمريكا الجنوبية، وأمريكا الشـمالية، كما اسـتطاعت الليبرالية القضـاء

---

4 بدر الدين، إكرام، الديموقراطية الليبرالية ونماذجها التطبيقية، دراسات فى نظم الحكم (بيروت – لبنان : دار الجوهرة ،1986)، ص42، 43، 45، 46.

5 مل ،جون استيوارت،أسس الليبرالية السياسية ،ترجمة ،عبد الفتاح، إمام ،متياس ميشيل ،(القاهرة :مكتبة مدبولى ،1996) مقدمة المترجمين،ص7، 8

على معارضيها الكثر، مثل الفاشية، والشيوعية، وزاد انتشار أفكار الليبرالية فى القرن العشرين، وأصبحت جزءًا مهمًا فى إنشاء الدول ذات الرفاهية) .(6)

فالليبرالية تعارض الاستبدادية؛ حيث جاءت لتخلِّص الفرد من الحكومات المستبدة، وتحرره من قيود تلك الحكومات الطاغية، فكانت الحكومات المستبدة تسعى لتحقيق منفعتها على حساب منفعة الأفراد، إلا أن الليبرالية أعلت من قيمة الفرد على قيمة الدولة، بل جعلت الهدف فى الحياة هو تحقيق المنفعة الفردية التي إذا تحققت بلغ الإنسان السعادة دون ألم وشقاء .

6 لاشين، دينا سليمان كمال، حول مفهوم الليبرالية وعلاقتها ببعض من المفاهيم الأخرى منها (الديموقراطية ، العلمانية ،الحرية)، المركز الديموقراطي العربى 5أغسطس 2019م.
Democraticac.de/?p=61950

المبحث الثاني

أنواع الليبرالية وأهم فلاسفتها

تعرف الليبرالية بأنها مذهب الحرية، إلا أن المفهوم الاصـــطلاحي للحرية يحمل أبعادًا مختلقة ومتفاوتة، الأمر الذى نتج عنه بالطبع ظهور قائمة كبيرة من الفلاسفة وخاصة المنحدرين من العالم الغربى، فى مقدمتها فرنسا ثم ألمانيا أما الولايات المتحدة الأمريكية، فقد كانت منذ نشأتها إلى وقتنا المعاصر بمثابة معقل من معاقل التيار الليبرالي فى مختلف الجوانب الاقتصـــادية والسياسية والاجتماعية، فقد سار ليبراليوها منذ الثورة الأمريكية على نهج رائدتها من الثورة الفرنسية وخصوصًا فى الجانب السياسى منها .

أ- **أنواع الليبرالية وأهم فلاسفتها:**

طرأت على الليبرالية عدة تحولات نتج عنها وجود أنواع للّيبرالية، قام بالترويج لها فلاسفة ومفكرون ليبراليون، وسنذكر فيما يلي أنواع الليبرالية، وأهم دعاتها من الفلاسفة:

1- الليبرالية الكلاسيكية

نشأت الليبرالية الكلاسيكية فى القرن السادس عشر ولم تكتمل صورتها حينئذٍ، إلا أنها برزت فى القرن السابع عشر بهيئة أيديولوجية متكاملة ومؤثرة ، ولعبت دورًا بارزًا وأساسيًا طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكانت تخدم المصالح الرأسمالية فى المجتمعات الغربية، وقد تراجع دورها المؤثر بالتدرج

بتوسع الأيديولوجيات الفاشية والاشتراكية ذات التوجة الماركسي، والاشتراكية ذات التوجة الديموقراطي. وفيما يلي عرض لأهم فلاسفة الليبرالية الكلاسيكية .

- **جون لوك John Locke(1632-1704م)**

جون لوك رائد الفكر الليبرالي الكلاســـيكي الذي نادى بالحرية الفردية التي ترى أنه لا يجوز للحكومة أو أي سلطة التدخل في حياة الأفراد، بداية من حرية الفرد فيما يأكله، ويشربه، ويلبسه إلى آراء الفرد السياسية، وحقوقة المدنية الواجب الاعتراف بها، كما أنه أول من نادى بالفصـــل بين الســـلطات؛ (حيث يرجع راسل الفضل إلى لوك فى الفصل بين السلطات، وبصفة خاصة السلطة التشريعية للبرلمان مقابل السلطة التنفيذية للملك. ويرى أن أعماله كان لها أعمق الأثر فى الفلسفة السياسية، ويدلِّل على ذلك بإعلان الاستقلال الأمريكى).[7]

كما نادى جون لوك إلى تمتع الفرد بحقوق طبيعية ثلاث هي: الحق فى الحياة، والحرية ، والملكية. وقد تأســـست الحرية الفردية على تلك الحقوق، كما أكَّد على الحق فى الثورة على الحاكم، ومن هذا المنطلق أصبح للفرد الحق فى اختيار حكامه وتقييد سلطة الحاكم.

ويمكن إيجاز آراء **لوك** التي كونت الليبرالية الكلاســـيكية فى المحاور التالية.[8]

---

7 طنطاوى، مصطفى محمد عبد المنعم، فكرة العقد الاجتماعى من الليبرالية الكلاسيكية إلى الليبرالية المعاصرة، دراسة مقارنة بين روسُو وجون رولز، رسالة ماجستير(جامعة القاهرة – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ،2015م)، ص66.

8 زرشناس، شهريار، الليبرالية، سلسلة مصطلحات معاصرة، ترجمة الصراف، حسن ط1(إيران :المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ،2017م) ، ص105، 106.

1- إن **لوك** هو أحد المفكرين البارزين الذين بلوروا مفهومًا سياسيًا وقانونيًا استعرض تحت عنوان "الوضع الطبيعي "وعرف بنظرية "العقد الاجتماعى"، على الرغم من أن "لوك "لم يكن المنظِّر الأول لنظرية العقد الاجتماعي، ولكنه لعب دورًا أساسيًا فى ترويج هذه النظرية.

2- يرى **لوك** أن رضا الناس هو مصدر الشرعية السياسية.

3- يمثل مفهوم "الفصل بين السلطات "إحدى الفرضيات الأساسية التي كان **لوك** من روادها.

4- يرى **لوك** بصفته واضعًا لنظرية "حقوق الإنسان "أن هذه النظرية هى جزء لايتجزأ من البنية الاجتماعية فى الأنظمة السياسية الليبرالية والرأسمالية .

- **شارل مونتسيكيو Charles Montesquieu(1689-1755م)**

فيلسوف فرنسى ولد فى قصر "لابرد"على مقربة من مدينة "بوردو الفرنسية "، وكان والده قاضيًا ثريًا من الطبقة الأرستقراطية، وكان من المنظرين الكبار لليبرالية الكلاسيكية، وكان عليه أن يراعي مصالح الطبقة الأرستقراطية، والإقطاعيين فى تنظيراته السياسية، إذ حاول أن يطرح نظامًا ليبراليًا لا يَقمع، ولا يُقصي الإقطاعيين الأرستقراطيين، بل يجرى وئامًا ومصالحة تاريخية بين النخبة البرجوازية، والنخبة الإقطاعية، مع إعطاء الأولوية للبرجوازيين، وبهذا قد يكون **مونتسيكيو** أقل تأثيرًا من "لوك "فى نشر أسس الليبرالية الكلاسيكية، لكن لا يغفل دوره الكبير فى بلورة الجوانب القانونية والسياسية لنظرية الليبرالية الكلاسيكية، ولايغفل كونه رائدًا لنظرية الفصل بين السلطات، كما أثرت أفكار

مونتسـيكيو فى نشـأة الليبرالية الجديدة خلال القرن العشـرين، وأيدها الليبراليون الجدد خاصة من أمثال "**أشعيا برلين** ". (9)

ونادى **مونتســـيكيو** بالحرية والتســـامح وهو من أتباع **لوك**، فكان **مونتسـيكيو**من (أشـد أعداء الحكم الاسـتبدادي. ونادى لذلك بفصـل السـلطات، وردَّ أصـــل الدولة والقوانين إلى الطبيعة، وقال إن الطبيعة هى التي تحدد نوع الدولة، أو نوع العلاقات بين الأفراد التي تحدد بالتالى شـــكل الدولة، ويقصـــد بـالطبيعـة المنـاخ، وقـال إن نظم الحكم والقوانين تختلف من مجتمع إلى آخر باختلاف المناخ، وأن اختلاف المناخ هو الذى يتســـبب فى اختلاف العادات والتقاليد والنظم الاقتصادية، والأديان، بل ومفهوم الحرية. وقال إن سكان الجبال والجزر يشعرون بحرياتهم أكثر من سكان السهول والقارات؛ لسهولة الدفاع عن الأولى، وأن سـكان الجبال يتصـفون بالاقتصـاد والاسـتقلالية والنشـاط بسـبب طبيعة بلادهم). (10)

ويمكن تلخيص المحاور الأسـاسـية لآراء **مونتسـيكيو** فى النقاط التالية 11:

1- يؤكد **مونتســـيكيو** شـــعار (الحرية الليبرالية)، ويعد الحرية بنســـختها الليبرالية النواة الأولى والبنية الأساسية لأفكاره السياسية والقانونية وآرائه التاريخية .

---

9 المصدر السابق ، ص111، 112.

10 الحفنى،عبد الله، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، جـ2، من ط:ى(القاهرة : مكتبة مدبولى، 2018م) ، ص1395.

11 - زرشناس، شهريار، الليبرالية،مصدر سابق ،ص113، 115

2- أكد على أن السلطة الملكية هى السلطة التى تحكم بمقتضى القانون، وميز بينها وبين السلطات الاستبدادية التى لا تحكم بمقتضى القانون .

3- قسم الحكومة الجمهورية إلى حكومة أرستقراطية مبدؤها العدل، والحكومة الديموقراطية ومبدؤها المساواة، ثم أيَّد الحكومة المختلطة التى بها يحكم بالقانون، وحكومة أرستقراطية وشعب ديموقراطي. وبذلك كان ضد الاستبدادية بكافة أشكالها .

- **ديفيد هيوم David Hume(1711- 1776م)**

ديفيد هيوم فيلسوف اسكتلندي من أبرز فلاسفة القرن الثامن عشر، وكان ممن دعا إلى النزعة النفعية التى بَنَتْ عليها الليبرالية فكرها، إلا أنه فى نهاية القرن السابع عشر اتخذت المنفعة معنى اقتصاديًا بحتًا؛ حيث تخطت المنفعة الفردية من المنظور الاجتماعى إلى الأسواق. لذلك يرى **هيوم** أن "الميل النفسى لتحقيق المنفعة" أو "العاطفة المرتكزة على المنفعة "هى مترادفة مع "الحرص لكسب المال " أو مع "حب الربح" . إن فكرة المنفعة بمعنى الربح التي تشكلت فى الأدبيات السياسية بعد **ميكافيلى** اعتمدت بشكل عام فى فرنسا فى بدايات القرن السابع عشر، وخلال فترة وجيزة أقبل منظرو الأخلاق البارزون وغيرهم من الكتَّاب على هذه الفكرة وتناولوها فى دراساتهم المعمقة حول طبيعة الإنسان .(12)

- **آدم سميث Adam Smith(1723- 1790م)**

---

12 المصدر السابق ، ص23، 24.

ظهر فى العقود الأخيرة من القرن الثامن عشـــر والنصـــف الأول من القرن التاســع عشــر عدد من علماء الاقتصـــاد جملتهم إنجليز سُــمُّوا باســم الاقتصـاديين الكلاسـيكيين، وأبرزهم **آدم سـميث** مؤسـسس الليبرالية الاقتصـادية Economic liberalism التى تشـــجع على حرية التجارة من أجل تحقيق المزيد من النمو والرخاء لكافة أفراد المجتمع، ومن هنا ذهب **سميث** إلى وجوب تطبيق نظام السوق الحر .

إن السبب الرئيسى لشـهرة **سـميث** يأتى من آرائه الاقتصـادية التى تعد الأســاس النظري والفلســفي للرأســمالية، وقد عبَّر عن النظام الرأســمالي بنظام "الحرية الكاملة".ويعد اســـتناده لفرضـــية **اليد الخفية** Invisible Hand من الركائز الأســـاســـية الداعمة للنزعة الفردانية النفعية الرامية لتحقيق المصـــالح الرأسـمالية. ولهذا أصـبحت آراؤه من ضـمن الأسـس الاقتصـادية المهمة فى المدرســـة الليبرالية ليكون المنظِّر الاقتصـــادي الأبرز الذى لعب دورًا كبيرًا فى بلورة الليبرالية الكلاســـيكية، وهذا نجده بعد نشـــأة الليبرالية الجديدة فى القرن العشرين التى عادت معها نظرية **اليد الخفية** لميدان البحث والتنظير؛ إذ تناولها الاقتصـــاديون الداعمون للأنظمة الرأسـمالية، وأُعِيدت بنيتها على يد **فون هايك** Hayek Von (**1899– 1992م)** فى إطار ما أسـماه بـــــ"**النظام التلقائي**"[13].

13 الشمرى، نادية جاسم كاظم، الديموقراطية والليبرالية والعلمانية فى الفكر الغربى، مجلة مركز بابل للدرسات الإنسانية، المجلد 6، العدد 4، إصدار خاص بالمؤتمر الوطني للعلوم والآداب ،2016م، ص 120، 121.

كان **سميث** شديد الدفاع عن حرية النشاط الاقتصادي التى نتج عنها فكرة السوق الحر، كما أنه هاجم القيود السلطوية من قبل الدولة القومية على ممارسة الأفراد لأنشطتهم الاقتصادية. وكان دفاع **سميث** عن حرية السوق مرتبطًا بتجربة بريطانيا الناجحة عقب الثورة التى قادها البرلمان عام 1688م، وقد أدى فتح الطريق أمام النشاط الاقتصادي الحر فى ذلك الوقت إلى ازدهار سريع بعد إنهاء الامتيازات وإطلاق حرية السوق، فتشكلت طبقة جديدة من التجار والمستثمرين. وقد ارتبطت حرية السوق عند **سميث** بالازدهار الذى تحقق فى بريطانيا، ولذلك نظروا إلى حرية السوق بوصفها ثورة ضد الامتيازات، والاحتكارات الاقتصادية، والاستبداد والطغيان السياسي فى آن معًا. (14)

(إن السوق الحر الذى تصوره **سميث** هو فى حقيقته قائم على نموذج السوق المحلي الموجود فى كل مدينة ،على الرغم من أنه كان يقصد بدعوته السوق العالمى. لقد أسس تصوره عن السوق الحر على سوق السلع الاستهلاكية الذى يسد حاجات بشرية حقيقية، وكان يهدف من دعوته أن يكون السوق العالمية حرًا وأن تؤدى حريته هذه إلى توافر السلع الأساسية بأسعار رخيصة فى متناول الجميع، إذ كان يعتقد أن كل سوق يجب فى النهاية أن يصل إلى نقطة نهاية وهى المستهلك، على الرغم من طول الدوران التجاري للسلع إلا أنها يجب أن تنتهي إلى محطة وصول نهائية هى المستهلك الأخير،

14 عبد المجيد، وحيد، الليبرالية، نشأتها وتحولاتها وأزمتها فى مصر (القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ،2015م)، ص76، 77،78.

لكن السوق العالمى الآن يختلف عن السوق الذى ينتهي بالسلع الاستهلاكية الذى وصفه **سميث)** .[15]

وبناءًا على ذلك عبَّر منهج **سميث** عن المثل الأعلى لطبقة وشعب فى أوج توسعه؛ حيث يدعم **سميث** أطروحة التناسق الجوهرى بين المنفعة الشخصية والمنفعة العامة، إنه يؤمن بالتقدم الاقتصادى الثابت، ويعتبر أن الثروة الحقيقية هى العمل القومي، ويقر بمميزات الوفرة الإنتاجية. كما أنه أسند للدولة وظائف واضحة مثل: تسهيل الإنتاج، وإشاعة النظام، واحترام العدالة، وحماية الملكية. ومن هذا المنطلق يعد **سميث** مؤرخًا لا للتاريخ الاقتصادي فحسب وإنما للتاريخ السياسي أيضًا.[16]

- **جون ستيوارت مل John Stuart Mill(1806- 1873م)**

نشأ **ستيوارت مل** فى إطار مبادئ النفعية، وتأثر بثقافة والده **جيمس مل** ، كما تأثر بالعديد من الفلاسفة أمثال: **كانط**، واهتم **بسان سيمون، وراسل، وتوكفيل**. أما عن رأيه فى الحرية، فهو يرى أنها قيمة بذاتها مستقلة عن مبدأ السعادة الكبرى. وينتقد **مل** الرأسمالية، ويعتقد أن وظيفة الدولة الليبرالية ليست سلبية خالصة، وأن عليها أن تسعى لتحقيق شروط الحرية .[17]

---

15 منصور، أشرف، الليبرالية الجديدة، جذورها الفكرية وأبعادها الاقتصادية، مرجع سابق، ص10 .

16 توشار، جان وآخرون، تاريخ الفكر السياسي ،ترجمة مقلد، على، ط2(لبنان – بيروت، الدار العالمية ،1983م) ، ص 327.

17 المصدر السابق، ص 415، 416

كما أنه عارض الطغيان بكافة أشكاله، ونادى بوجوب تحقيق الديموقراطية فى الدولة، إلا أنه أنكر المغالاة فى الفردية السلبية، فكانت هناك وقفة **جون ستيوارت مل** الفلسفية الاجتماعية مع هذا المبدأ. فقد بدأ مراجعة هذا المبدأ (انطلاقًا من فكرة مؤداها أن الفرد ينبغي أن يظل هو حجر الزاوية فى الليبرالية، ولكن دون أن يعني ذلك تشجيع الفردية التى لا تسعى إلا إلى المصلحة الذاتية. ورأى أن الرؤية المستنيرة للطبيعة البشرية لا تستقيم إلا مع تبني الفردية الإيجابية، وليس الفردية السلبية التى قصد بها الرؤية المغرقة فى المصلحة الذاتية بأضيق معانيها) .(18)

يرى **مل** أنه بحصول الأفراد على الحرية التي تحقق المنفعة الفردية، يؤدى ذلك إلى الوصول للمصلحة الفردية، كما يحدث بالطبع معه المزيد من الإبداع فى مختلف المجالات الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وهذا بشرط أن لا تؤثر تلك الحرية على الأمن الداخلي والخارجي للمجتمع .

- **هربرت سبنسر Herbert Spencer(1820-1903م):**

يعد **هربرت سبنسر** من أشهر فلاسفة الليبرالية الإنجليزية، فقد تأثر بفكر والده الذى كان من أتباع الكنيسة الميتودية (المنهجية)كما كان ليبراليًا سياسيًا. وأسس مذهبه الليبرالي على البيولوجيا؛ حيث شبَّه الحياة الاجتماعية بالحياة الجسدية، موضحًا أن المجتمع عبارة عن جهاز يخضع لنفس القوانين التي تخضع لها الأجهزة الحية. وجاء الفكر الليبرالى **لسبنسر** منكرا لتدخُّلات

18 عبد المجيد، وحيد ، الليبرالية نشأتها وتحولاتها وأزمتها فى مصر ، مرجع سابق ص84، 85.

الدولة، وأخذ يمجِّد المبادرات الفردية. ويذهب **ســـبنســـر** حتى فى اقتراح إلغاء وزارات الزراعة والأشغال العامة والتربية الوطنية، وأجَّل ترك أمر العناية بها إلى المبادرة الفردية .[19]

كما تعرضــت النزعة الفردية لدى **ســبنســر** للنقد من قبل **دوركايم**. فقد اســتند **ســبنســر** إلى أن المجتمعات تســير فى تطورها نحو المزيد من الفردية، هادفًا بذلك توكيد الحريات الفردية وتوضـــيح أن تلك الحريات ما هى إلا تطور طبيعى فى المجتمعات، إلا أنـه فى رأى **دوركـايم** أن تلـك الأفكـار الليبراليـة الإنجليزية هى التى كانت توجه فلسفة **سبنسر** نحو الفردية.

كما أن **دوركايم** لا يعترف بالفردية الحديثة المتمثلة فى افتقاد الروابط الاجتماعية القديمة، التى كانت تضـــم الفرد والجماعة فى وحدة واحدة ، ودلَّل **دوركايم** على أنه بصـــعود الفردية الحديثة أصـــبحت القيود التى على الحرية الفردية أكثر خفاءً ومن الصـعب الوعى بها واكتشـافها، كما أن الخطأ الذى وقع فيه **ســبنســر** هو نقده للمجتمع، وكذلك انتقد دوركايم فكرة تقســيم العمل لأنها بتجزئتها يتجزأ المجتمع معها ويتحول إلى مجموعة من أفراد .[20]

2- الليبرالية الاجتماعية :

19 توشار، جان وآخرون، تاريخ الفكر السياسى، مصدر سابق، ص525.

20 منصور، أشرف، الليبرالية الجديدة، مرجع سابق، ص205، 206، 208.

عندما نشـــير إلى الليبرالية الاجتماعية لا نقصـــد أنها ليبرالية مغايرة لليبرالية الكلاســـيكية، وإنما نعني أنها طرح أو مرحلة أخرى للتيار الليبرالى، وتسـمَّى ليبرالية العدالة الاجتماعية بالليبرالية الجديدة، فهى تقرُّ بدور الدولة فى الاقتصاد الرأسمالي ، كما أنه لا بد على الدولة في رأيها من توفير فرص العمل ورعاية صـــحية كريمة للمواطنين، وكذلك إتاحة تعليم متميز يعمل على تقديم مواطنين على قدر كبير من الوعى والثقافة، لهذا قدَّم فلاســـفة الليبرالية الاجتماعية فكرهم على بعض من آراء **ســـميث**، فقد ســـعى الليبراليون الاجتماعيون إلى تأكيد أنهم يمثلون امتدادًا لتلك الأفكار.

فمع ظهور الســـلبيات الناجمة عن الليبرالية الكلاســـيكية التى مهما وجدت من يدافع عنها فإنها لم تســـطع تحقيق التوزيع المناســـب للعمل وأرباح رأس المال، كما أنها عجزت عن تصحيح الاختلالات الاجتماعية التى أحدثتها، ولهذا ظهر اتجاه جديد لعلاج الجروح الاجتماعية الناجمة عن الليبرالية الكلاسيكية، ومراجعة الحرص المبالَغ فيه على فكرة السوق، وما يقترن بها من الحريه المطلقة للملكية الفردية .

وقد بدأ التطور ســـريعًا نحو الليبرالية الاجتماعية مع نهاية العقد الثانى من القرن العشـــرين مدفوعًا بعاملين رئيســـين: الأول ذو نزعة أخلاقية، والثانى اقتصـــادي اجتماعي.وقد نبع العامل الأول من ضـــمائر أرَّقها الظلم الاجتماعي والاستغلال الاقتصادي الذي أدَّى إلى فقر اشتدت حدَّتُه خلال الحرب العالمية الأولى .وكان لهذا الاتجاه الذي سعى إلى إضفاء طابع أخلاقى على الليبرالية أثره فى ترشيد النظام الرأسمالي فى وقت ازدادت فيه التحديات التي فرضـــها انتشار الفلسفة الماركسية، وبمنأى عن آليات السوق، فقد كانت فرصة للنظام

الرأسـمالي اسـتطاع من خلالها معالجة أزماته الكامنة فيه. أما العامل الثانى، فكان اقتصاديًا اجتماعيًا نتج عن التجربة الفعلية التي أثارت شكوكًا أخذت تزداد حول فرص الحرية فى ظل تفاقم التفاوت الاجتماعي بتناقضاته وآثاره السياسية من ناحية، وغياب الثقة فى مؤسسات الدولة خوفًا على حرية السوق من ناحية أخرى .(21)

وهكذا تغير الهدف نحو التقدم الذي كانت تسعى إليه الليبرالية الكلاسيكية لتأتي الليبرالية الاجتماعية مستهدفة فى المقام الأول رفع مستوى قيمة العدالة؛ لتعادل بذلك قيمة الحرية؛ لهذا ظهر مفكرو الليبرالية الاجتماعية الذين استبعدوا تمامًا الملكية الخاصة من قائمة الحريات الفردية التي أتاحتها الليبرالية الكلاسيكية للأفراد. وسنتناول فلاسفة الليبرالية الاجتماعية بشيء من التفصيل فيما يلى .

- **توماس هيل جرين Thomas Hill Green(1836-1882م)**

أهم مؤلفاته "مبادئ الالتزام السياسي – نُشر بعد موته – وينطلق كتابه من تأثير مضاعف؛ فمن جهه تأثَّر بالفلسفة الإغريقية، وخاصة فلسفة **أفلاطون**، ومن جهه أخرى تأثر بالفلسفة الألمانية، وخاصة فلسفة **كانط**، و**هيجل**، إلا أنَّ فكره مخالف لفكر **سبنسر**؛ حيث اعتبر أن الطبيعة البشرية هى اجتماعية بصورة أساسية، وأن المشاركة فى الحياة الاجتماعية هي أسمى شكل من أشكال النمو الذاتى، وأن الناس يخضعون للمصلحة العامة التي هي الوعي

21 عبد المجيد، وحيد، الليبرالية، نشاتها وتحولاتها وأزمتها فى مصر، مرجع سابق، ص105، 106.

المشترك لغاية مشتركة. كما أن الحرية لدى **جرين** هي حرية إيجابية، تعبر عن القدرة على العمل، كما أنها تقضي بفعل شيء معين لا فعل أي شيء.

ولهذا اعتمد **جرين** على تدخل الدولة لتأمين التربية الوطنية بخلاف **سبنسر**، وعليها أيضًا أن تهتم بالصحة العامة، وبحكم إعجابه بالعدالة الاجتماعية، طلب من الدوله تشجيع تطوير النقابات، والشركات التعاونية. (22)

وعلى هذا الأساس بدأت الدعوات تتوجه للدولة القومية أن تقوم بدورها، وأن تتدخل لتوازن المنظومة السياسية والاقتصادية، بل وكافة المجالات الاجتماعية. وبدت ليبرالية **سبنسر** كأنها إرث حقبة مضت، وأصبح أمر السير بالليبرالية الكلاسيكية نحو الليبرالية الاجتماعية لا مفر منه.

- **جون ديوى John Dewey (1859- 1952م)**

إنَّ نمو الليبرالية المغرقة فى الفردية عمل على إنهاء عهد الليبرالية الكلاسيكية، وأثار العديد من الانتقادات التى وجهت لها، وليس النقد موجها من قبل التيارات المختلفة، بل من داخل أصحاب الفكر الليبرالى نفسه، فقد رأى **جون ديوى** (أن الليبرالية المغرقة فى الفردية قامت على ما اعتبره تناقضًا زائفًا بين الفرد والمجتمع، وذهب إلى أن الرؤية الليبرالية الصحيحة كما رآها لا بد أن تشجع الفرد على أن يرى نفسه غاية فى ذاته، وعضوًا فى المجتمع فى آن معًا وأن تدعم الجمع بين الفردية والقابلية للحياة الاجتماعية Sociability.وكانت أفكار **ديوى** فى هذا المجال نتيجة تراكم لآراء كثيرين، مثل: **مل**، و**توماس هيل جرين**، **وبرنارد بوسانكين**، و**جيرالدجوز**؛ حيث تبنوا فكرة التصالح بين الفرد

22 جان توشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسى، مصدر سابق، ص527، 528.

والمجتمع فى إطار مفهوم جديد للإنســـان الفردي – الاجتماعي. وارتبط ذلك بطرح مجادلات ليبرالية جديدة بشــأن الحرية والديموقراطية والنظام الاقتصــادي أســـهمت فى بلورة التيار الاجتماعي الليبرالي، ويرجع البعض الفضـــل فى هذا التحول إلى **جون ســـتيوارت مل**، وهناك من يربطه بإســـهامات **توماس جرين** (1836–1882م) بينما يعطي فريق ثالث أهمية أكبر لمن جاءوا بعدهما وخاصة **جون ديوى** ثم **جون رولز**). (23)

جون ديوى المفكر الليبرالى الذي رأى ضرورة لا بديل عنها لدور الدولة من أجل ضمان سلامة عمل السوق، فكانت الريبة والشك من دور السوق أحد أســـباب هذا التحول حين تترك بدون قواعد لتنظمها. ولهذا وجَّه **جون ديوى** الانتقادات لفكرة السوق كما طرحها **سميث**، معبرًا بأن تنافس المصالح الخاصة لم يؤد إلى تعظيم الثروة العامة ؛بل يعرضـــها للخطر حين يكون تنافسًـــا غير متكافىء، وقد ارتبط هذا التحول بتعديل الرؤية إلى دور الدولة والمجتمع والإنســـان بموجب هذا التغير ،حيث لم تعد الحكومة تمثل خطرًا على الحرية على عكس ما ذهب إليه الليبراليون الأوائل. بل أصـــبحت هناك أهمية كبيرة لدور الحكومة وذلك لضمان تحقيق السلم الاجتماعي .

- **فريدريك فون هايك Friedrich Von Hayek(1899–1992م)**

23 عبد المجيد وحيد، الليبرالية، الليبرالية نشأتها وتحولاتها وأزمتها فى مصر، مرجع سابق، ص84.

وهو مفكر نمســـاوي الأصـــل، بريطاني الجنســـية، من أهم المفكرين الليبراليين وأشهرهم فى القرن العشرين، انتمى فى بداية حياته للمدرسة النمساوية فى الاقتصـاد السياسـي. وترجع أهمية تلك المدرسـة أنها أحيت الاتجاه الليبرالي فى الاقتصـاد السـياسـي الذى كانت بداية ظهوره مع **آدم سـميث**، لكنه تعرض للاضـمحلال نتيجة صـعود الاقتصـاديات الاشـتراكية والماركسـية والديموقراطية الاجتماعية؛ حيث أعادت المدرســـة النمســـاوية الأفكار الليبرالية الكلاســـيكية المتعلقة بحرية الســـوق وشـــعارات "دَعْه يعمل دَعْه يمرّ"، كما نادت بأفضـــلية النظام الرأسمالى على الاقتصاديات المخططة والاشتراكية .(24)

ومع كل الانتقادات التى تعرضت لها الليبرالية الكلاسيكة، إلا أن **هايك** قد تصـدر لتلك الهجمات التى شـنَّها أصـحاب الفكر الاشـتراكي والجماعي فى منتصـف القرن العشرين، وقام بالدفاع عن الفكر الليبرالي والرأسمالية، ويعد من أهم الشـــخصـــيات وراء الســـياســـات **الكينيزية** Keynesian والتدخلية Interventionist التى كانت منتشرة فى مطلع القرن العشرين نحو سياسات فكر السوق الحر، وتنبذ فكرة تدخل الدولة.

وتمثل مسـاهمة **هايك** إضـافة جديدة لليبرالية فى تحديد لمعنى الفردية؛ حيث يرى أن مجالات المعرفة بطبيعتها واسعة لا تسمح لأي فرد أو مؤسسة أو جهاز بالإحاطة الكاملة بها، ومن ثمَّ فإن هناك حاجة إلى نظام لا مركزى على نحو فردي يســـمح لكل فرد بالاســـتقلال فى اتخاذ قرارته فى المجال الذى يريد معرفته به عن غيره ، كذلك أســـهم **هايك** فى تحديد فكرة دولة القانون وضـــرورة

---

24 منصور،أشرف، الليبرالية الجديدة، جذورها الفكرية وأبعادها الاقتصادية، مرجع سابق، ص161.

الانصـياع لقواعد عامة، فالقانون ليس مجرد أوامر تصـدر من السـلطة ولا هو مجال للتحكيم، فهناك قيود على حقوق الأفراد وحرياتهم لا يجوز الجور عليها، وهناك إجراءات شكلية لا بد من مراعاتها ضمانًا للاستقرار القانوني والاقتصادي لمراكز الأفراد وحقوقهم .(25)

ولهذا قدَّم **هايك** حلاً لضـــمان تحقيق الحرية الفردية دون التعدي على حقوق الآخرين، ورأى أن ذلك لا يتم إلا من خلال الإشـــراف القانوني من قبل الدولة على تطبيق القوانين الخاصـــة بعدم تعدي حريات الأفراد على بعضـــهم البعض، ويمكن القول بإيجاز أن الأهداف المحددة المشـتركة يسـتبدل بها قواعد مجردة عامـة. "**ولا تكون هنـاك حـاجـة للحكومـة إلا لكي تطبق هذه القواعد المجردة، وبالتالى لحماية الفرد ضـــد القهر، وانتهاك الآخرين لمجاله الحر**".

(26)

- **جون رولزJohn Rawls(1921-2002م)**

فيلسـوف أمريكى يعتبر من مؤسـسـي الليبرالية الاجتماعية ومنظِّريها، وقد(تأثرت فلسـفته بسـياق الأحداث المعاصـرة له من أهمها الحرب العالمية الثانية، إذ كانت بمثابة إعلان عن عمق أزمة العدالة فى الوجدان البشـري .كما أن المجتمع الأمريكي فى تلـك الفترة كـان ممتلئًـا بصـــراعـات حول التمييز العنصـــرى وحقوق الأقليات من خلال الحقوق المدنية المختلفة، وهو ما جسَّـد

---

25 الشمرى ،نادية جاسم كاظم، الديموقراطية والليبرالية والعلمانية فى الفكر الغربى، مرجع سابق ص359، 360.

26 هايك، فريدريك فون، الغرور القاتل أخطاء الاشتراكية، ترجمة، غنيم ، محمد مصطفى، تقديم : البيلاوى، حازم ، ط1،(القاهرة : دار الشروق ،1993م)، ص 82.

مشكلة أخلاقية فى صورتها الواقعية ،الأمر الذى أدى إلى تصاعد أزمة السؤال حول العدالة. لذلك عكف **رولز** على دراسة مجموعة من القضايا سرعان ما قادته إلى أفكاره الأساسية التي شكَّلت نظريته فى العدالة).[27]

يطرح **رولز** نظرية العدالة، بما هى إنصاف ويؤسسها على مبدئى التوحيد والتفريق :[28]

أ- كل الناس أحرار، ولهم الحق فى النسق الموسع للحريات الأساسية بالتساوى .

ب- من الطبيعى أن تنتج عن هذا النسق الموسع للحريات فوارق اجتماعية واقتصادية هائلة بين الناس .

فالليبرالية الاجتماعية ذات ميول اشتراكية تهتم بالعدالة والمساواة ، وعلى هذا الأساس انتقد **رولز** وجود فوارق شاسعة بين الطبقات، فلابد من تساوي جميع الأفراد فى الحصول على حقوقهم دون ظلم، ولا بد من أن تعم الفائدة على الجميع .

إن فلسفة **رولز** ذات النزعة الليبرالية الاجتماعية القريبة من الديموقراطية تقتضي بإعطاء حق ملكية وسائل الإنتاج للدولة، ويرجع ذلك لتتوازن كفة الميزان لتتحقق المساواة والعدالة ، وضمان عدم سيطرة فئة قليلة من الأفراد على الاقتصاد والسياسة، ولكنه(يرى أن النظام الذى يميز بين الملكية

---

27 طنطاوى ، مصطفى محمد عبد المنعم ، فكرة العقد الاجتماعى ،أطروحة سابقة ، ص75، 76.

28 الشمرى، نادية جاسم كاظم ، الديموقراطية والليبرالية والعلمانية فى الفكر الغربى، مرجع سابق ص149.

الشخصية وملكية وسائل الإنتاج أقرب إلى نظريته فى العدالة ؛لأنه يسعى إلى معالجة التفاوت من خلال ضمان المساواة المنصفة فى الفرص والتكافؤ الكامل والصـــارم فيها ،أكثر مما يحقق ذلك عن طريق إعادة توزيع الناتج فى النهاية، فهو يفضل وضع جميع المواطنين فى وضع يديرون فيه شئونهم على أساس من المساواة الكاملة فى الفرص ،لأنه يوفر للأقل انتفاعا بإمكانية زيادة دخولهم عبر عملهم، وليس من خلال رعايتهم ،أى تأكيد جدارتهم وليس الإشفاق عليهم، بحيث تكون هذه الرعاية محصورة فى أقل نطاق ممكن نتيجة ظروف شخصية اجتماعية لا سبيل إلى تغييرها ،أو حتى يصعب تحديدها وفهمها، سعيًا إلى المجتمع الذى يعتبر نفسه بالفعل قائمًا على نظام منصف من التعاون بين مواطنين أحرار متساويين). (29)

3- النيوليبرالية(الليبرالية الجديدة) :

أطلق مصطلح الليبرالية الجديدة على الليبرالية الاجتماعية – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – لهذا لا بد من توضيح الفرق بين مصطلحي الليبرالية الجديدة والنيوليبرالية؛ حيث يتم الخلط بين اللفظتين فى اللغة العربية بلفظ واحد "الليبرالية الجديدة "؛ حيث (تشير التعاريف العديدة **للنيوليبرالية** المتوفره فى الأدبيات أنها تتجلى فى عدة مجالات للحياة السياسية، والاقتصادية، فتشير **النيوليبرالية** إلى مجموعه من القرارات ذات الطابع الاقتصادى) .(30)

---

29 عبد المجيد، وحيد، الليبرالية، نشأتها وتحولاتها وأزمتها فى مصر، مرجع سابق، ص111

30 Gutiérrez, Francisco, & Schönwālder, Gred, Economic liberalization and political violence, utopia or Dystopia ?first published ,Pluto press, London – New York, 2010,p22

فهي تعد المكون الاقتصادى لليبرالية الكلاسيكية التي تهدف إلى تقليل دور الدولة فى المنظومة الرأســـمالية .أما الليبرالية الاجتماعية أو الليبرالية الجديدة تعمل على دعم اقتصـــاد الســوق الذى يمكن الأفراد من ملكية وســائل الإنتاج شريطة أن يكون للدولة دور فى تنسيقها .

ولابد من توضـــيح كيف ظهر مفهوم **الليبرالية الجديدة أو "النيوليبرالية** " **Neo – liberalism** على الساحة الاقتصادية والسياسية المعاصرة؟ وهل تلك الليبرالية الجديدة ألغت كل الأفكار التي قامت عليها الليبرالية الكلاسيكة؟.

وللإجابة على تلك التساؤلات، لا بد من توضيح أنه ليست النيوليبرالية (وليدة صدفه، بل هى حصيلة تراكمات طويلة أفضت إلى هذه النسخة الجديدة من الليبرالية. ويمكن القول أن لفظة جديدة، ليســت هى المميز لهذا النوع من الليبرالية، وذلك لتميزها عن الليبرالية القديمة. والليبرالية الجديدة التى أفرزتها مرحلة العولمة، هى نسخة عن الليبرالية الكلاسيكية، ولكن بشروط مرحلة عولمة رأس المال، خاصة فيما يتعلق بالعودة إلى السوق، وانسحاب الدولة من العملية الاقتصادية)[31].

فكما قبلت الليبرالية الكلاســـيكية تطوير مبادئها وأفكارها نحو الليبرالية الاجتماعية، إلا أن هذا التطوير طال الليبرالية الاجتماعية وذلك بظهور تيار محافظ فى سبعينيات القرن العشرين أطلق على نفسه "الليبرالية الجديدة ". وقد وضــع عالم الاقتصــاد ميلتون **فريد مان** Milton Freidman الأسس التى انطلقت منها رؤية الليبرالية الجديدة (النيوليبرالية) انطلاقًا من دعوته إلى إعادة

---

31 شلالده ،سمير عبد الرحمن ،الليبرالية الجديدة فى العالم العربى،رسالة ماجستير، (فلسطين : جامعة بيرزيت ، 2008م)، ص .12.

الاعتبار إلى الســـوق الحرة الطليقة من أى نوع من أنواع التنظيم الذى لا ينبع من آلياتها، وتقليص دور الدولة ليقتصر، دور الدولة على حماية الحدود والأمن وتهيئة المناخ اللازم للاســتثمارات الخاصــة وتوفير البنية الأســاســية اللازمة لها.(32)

هذا عن التطور الليبرالي من الجانب الاقتصـــادى، أما عن تطور الليبرالية سياسيًا، (فقد انتقلت هذه "الليبرالية الجديدة " بسرعة قياسية إلى المجال السـياسـي؛ حيث تبنتها أحزاب وجماعات ذات نفوذ، نجحت فى دفع مرشـحين مرتبطين بها، ومصـنوعين من أجلها إلى السلطة فى الولايات المتحدة الأمريكية "**رونـالـد ريجـان** "**Ronald Reagan** وفى بريطـانيـا "**مـارجريـت تـاتشـــر**" **Margaret Thatcher**، أى فى البلدين اللذين شـــهدا ازدهار الليبرالية الاجتماعية من منتصــف القرن التاســع عشــر، وجاء منها المفكرون الأربعة الرئيســون الذين قاموا بالدور الأكبر فى إرســاء دعائمها، وهم "**جون ســتيوارت مل**"(بريطـانى)، **وجون ديوى** (أمريكى)، **وجون كينيز**(بريطـانى)، وجون **رولز**(أمريكى)، إلى جانب عدد من الدول الأخرى فى أوروبا وأمريكا اللاتينية). (33)

فقد غيرت المنظومة العالمية الرأســمالية أســس الفكر الليبرالى وإظهاره فى ثوب جديد، فبعد أن كان يناضـــل من أجل البرجوازية الفردية، إلا أنه ضـــاعت البرجوازية الفردية فى ظل نمو الشـــركات متعددة الجنســـية الكبرى وتوحشها التى وقفت عائقا أمام الشركات الفردية الصغرى، وفرضت المزيد من

---

32 عبد المجيد ، وحيد، الليبرالية ، نشأتها وتحولاتها وأزمتها فى مصر ، مرجع سابق، ص133، 134..

33 المرجع السابق ، ص134.

الجمارك على الدول النامية والفقيرة فى الســـوق الدولية مع تقليل أو إلغاء الجمارك التعريفية على ســـلع الدول الأوربية الكبرى، الأمر الذى جعل هناك عدم تكافؤ فرص الصـــناعات المحلية فى مواجهة الصـــناعات الدولية. كما همَّشت النيوليبرالية (الليبرالية الجديدة) من سيادة الدولة القومية، وضيعت قيمة الفرد من أجل تحقيق مصـالح أصـحاب النفوذ الاقتصـادي، فمن خلال وسـائل الدعاية والإعلان أصبح هناك ترويج أكبر للسلع الاستهلاكية التى أطلق عليها الفلاســفة والمفكرون **بـــــاليد الخفية**. فكل ما يهم هذه الحملات الدعائية هو الســيطرة على عقول الأفراد، وقمعها، وتحويل رغباتهم نحو الاســتهلاك الدائم؛ لتحقيق الربح والمنفعة الأكبر .

- **برتراند دى جوفنيل Bertrand de Jouvenel (1903-1987م)**

ظهر على الساحة الفكرية السياسية العديد من ممثلى النزعة الليبرالية الجديد، وكان من أبرزهم المفكر الفرنســـى **برتراند دى جوفنيل**، ومن مؤلفاته السياسية "فى السلطة "، و "في السيادة "، وتتمثل الأسس الليبرالية لديه على النحو التالي: (34)

1- يرى **دى جوفنيل** ، وهو يضع نفسه ضمن أحفاد **مونتسكيو** ، **وتوكفيل، وكونت، وتين**، أن نهاية كل ســياســـة ليبرالية هى الحد من ســـيطرة السلطة بفضل نظام من المعادلات .

34 المرجع السابق ، ص134.

2- شـــرع **دى جوفنيل**، كما فعل **ألين** فى إقامة دفاع وبيان المصـــالح الخاصة التى هى "الأجزاء المكونة للمجتمع ".وكان من دعاة "المصالح الجزئية الواضحة التكوين، الواعية المسلحة من أجل إيقاف السلطة عند حدها ".

3- اهتم بصورة خاصة بالتجمعات الصغيرة وبالتعاون الاجتماعي .

نخلص إلى أن ما يميز الليبرالية الجديده (النيوليبرالية) عن الليبرالية الكلاسيكية، هو سيادة النموذج الرأسمالي المتمثل فى التكتلات الاقتصادية، وأصحاب الشركات الكبرى، فأضحى الدور السياسى يتراجع فى ظل وجود القوى الاقتصـــادية المتحكمة فى العالم ورؤســـائه، واختراق القوانين الوطنية والدولية، وأصبحت الكلمة العليا بل والسلطة الأكثر قوة لصالح من يملك أموالًا واستثمارت ضخمة فى أنحاء العالم . كما أن هناك أزمة حقيقية تنتج عن هذا المجتمع الاستهلاكي الجديد وهى "**أزمة وفرة** " فمن خلال حرص الطبقة العاملة على بقاء الإنتاج ،لأن فيه تحقُّقا لسعادة الأفراد، فإنَّ هناك حرصا أيضًا من طبقة البرجوازية على زيادة الإنتاج ليتحقق المزيد من الربح، ومن هنا تحدث أزمة الوفرة، والمتمثلة فى وفره الإنتاج فى الأســـواق، وتنوعها. ومن هنا يكون الأمل ضـــعيفًا إن لم يكن معدوما فى القيام بثورة ضـــد هذا النظام الرأســـمالي العالمي .

المراجع الأجنبية :

- Gutiérrez, Francisco, & Schönwālder, Gred, Economic liberalization and political violence, utopia or Dystopia ?first published ,pluto press, London – NewYork, 2010.

المصادر والمراجع العربية :

1- بدر الدين، إكرام، الديموقراطية الليبرالية ونماذجها التطبيقية، دراسات فى نظم الحكم (بيروت- لبنان: دار الجوهرة،1986م). www.azamil.com

2- توشار، جان وآخرون، ، تاريخ الفكر السياسى، ترجمة مقلد، على، ط2(لبنان – بيروت :الدار العالمية ،1983م).

3- الحفنى، عبد الله ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، جـ2، من ط:ى(القاهرة مكتبة مدبولي ،2018م).

4- زرشناس، شهريار، الليبرالية، سلسلة مصطلحات معاصرة، ترجمة، الصراف، حسن ،ط1، (إيران:المركز الإسلامى للدراسات الاستراتيجية ،2017م).

5- سمير عبد الرحمن شلالدة، الليبرالية الجديدة فى العالم العربي، رسالة ماجستير، (فلسطين :جامعة بيرزيت ، 2008م).

6- الشمرى، نادية جاسم كاظم ،الديموقراطية والليبرالية والعلمانية فى الفكر الغربى، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية،المجلد 6، العدد 4، إصدار خاص بالمؤتمر الوطنى للعلوم والآداب ،2016م.

7- طنطاوى، مصطفى محمد عبد المنعم، فكرة العقد الاجتماعى من الليبرالية الكلاسيكية إلى الليبرالية المعاصرة، دراسة مقارنة بين روسو وجون رولز، رسالة ماجستير(جامعة القاهرة – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ،2015م).

8- عبد الكافي إسماعيل، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي- بإنجليزى) موسوعة إلكترونية، 2005م

www.kotobararabia.com

9- عبد المجيد، وحيد، الليبرالية، نشأتها وتحولاتها وأزمتها فى مصر (القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ،2015م).

10-لاشين، دينا سليمان كمال، حول مفهوم الليبرالية وعلاقتها ببعض من المفاهيم الأخرى منها (الديموقراطية، العلمانية، الحرية)،المركز الديموقراطى العربى أغسطس 2019.61950=p/?democraticac.de

11-منصور، أشرف، الليبرالية الجديدة، جذورها الفكرية وأبعادها الاقتصادية، (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ،2008م).

12-متى ولماذا ظهرت فكرة الحرية وكيف استغلتها الليبرالية 2018/2/7؟

13-هايك، فريدريك فون، الغرور القاتل أخطاء الاشتراكية ،ترجمة ،غنيم، محمد مصطفى، تقديم ، الببلاوى، حازم، ط1،(القاهرة : دار الشروق ،1993م).

14- مل ،جون استيوارت،أسس الليبرالية السياسية ،ترجمة ،عبد الفتاح، إمام ،متياس ،ميشيل ،(القاهرة :مكتبة مدبولى ،1996).